

العبور إلى الوطن

حتى تمر إلى الوطن ينبغي أن تقطع حواجز وحواجز (١) لأن الوطن يقع في كل اتجاه وينبغي إكتشافه وتحديد موقعه كل يوم. الوطن قديم ولكن بناءه، والوعي على وجوده شيء جديد تماما، شيء لم يكتمل طلوعه بعد، ولكنه كالقمر سيطلع حتما إذا كانت السماء صافية والأرض موجودة، والبشر ساهرين.

الوطن ليس مظاهرة بل هو الساحة العامة التي تلتقي فيها كل المظاهرات، وتتردد في أرجائها كل الشعارات وترتفع في جنباتها كل الياфطات. الوطن ساحة واحدة يطأها الجميع بأرجلهم الخفيفة ويقبل ترابها الجميع بشفاهم الملهوفة، ولكن ديمومتها ومعناها هما شأن الذين لا يجدون ساحة غيرها، ولا يستمرون إلا بها، ولا يلوح لهم أمل سواها. الوطن هو شأن الذين يصنعونه بسواعدهم وفكرهم ليكون هدية لأولادهم وأحفادهم في وبلاد الوطن الآتية.

الوطن ليس فقط إرادة جماعية جاهزة لتحقيق مثل أعلى بل هو أيضا واقع محسوس تتصارع فيه مصالح الجماعات لتثبت وجودها فيه، والمثل الأعلى يسمو كلما ارتفع شأن الجماعات المنتجة في الأرض وعلى الأرض بإرادة جماعية. الوطن رحلة طويلة تبتدىء بنشيد ”كلنا للوطن، للعلم” ثم تمر ”كلنا في الوطن، ساورتنا الفتن، جاوزتنا المحن قد دفعنا الثمن” حبذا لو تنتهي إلى نشيد ”كلنا في الوطن، كلنا بالوطن، كلنا للوطن، كلنا والوطن ملء عين الشعوب“.

(١)

ملحق – تفصيل الحواجز

- ١- العائلة التي تعيد إنتاج ذاتها تقليديا.
- ٢- الدين الذي يقصر عن بلوغ روحه ويتحول إلى مؤسسات للمذاهب والطوائف.
- ٣- القبيلة التي لا ترى في الوطن إلا مرعى لأغنامها.
- ٤- القرية أو المنطقة التي تنهي الوطن بإنهاء حدودها.
- ٥- الزعامة المتوارثة التي تختصر الوطن في مصالحها وتطمس تاريخه وتظهر تاريخ أباؤها وأجدادها.
- ٦- المدرسة التي ترسم الوطن خريطة مقدسة إنطلاقا من مصالح الأقوياء وقيمهم، والوطنية مجرد علم ونشيد.
- ٧- الإيديولوجيا السائدة التي تمجد وتؤيد ما هو سائد.
- ٨- القانون الذي يحبس العلاقة الإجتماعية في نصوص بناء على أوامر الحكام والأقوياء.
- ٩- لقمة العيش التي تتحكم بالعقول والمشاعر والفعل والتصرف وتسجن الإمكانيات في سجن الضرورات البيولوجية الصرف.
- ١٠- الأحزاب التي تفضل مصلحتها على مصلحة الوطن.
- ١١- صورة المواطن الصالح كما ترسمها الأخلاق التقليدية الخائفة.
- ١٢- الرأسمالية سواء كانت متوحشة أو ”إنسانية“.

عبد المصطفى

بقلم يوسف رضا